ذاكرة عراقية

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

العـدد (1342) الاثـنيـن (13) تـشريـن الاول 2008

المراسيم الجمهورية في العراق التي صدرت مباشرة بعد ثورة تموز ١٩٥٨

ص ١١

من مفكرة الراحل عبد القادر البراك

قصة الصراع بين البلاط الملكي ونوري السعيد

المعارضة التي قادها الوصي ضد رئيس وزرائه

كانت العلاقات بين البلاط الملكي ونوري السعيد غير مستقرة في بعض الاحيان ففي كل مرة تعزز مكانة السعيد لدى السفارة البريطانية ولدى الاكثرية من النواب المؤيدين لكل وزارة تتمتع بثقة الجهات العليا حتى يبدأ العد التنازلي لعلاقته مع البلاط وقد تجلى ذلك في عهد الملك فيصل الاول بعد ان نجح نوري السعيد في ابرام المعاهدة العراقية البريطانية سنة ١٩٣٢ فادى ذلك الى شعور الملك بان نجم السعيد قد يرتفع افقا على افقه فخرج من الحكم على النحو الذي لم يكن يرضى به كل الرضا.

حمدي الباجي

صادق البصام

نوري السعيد

عبد الاله الوصي

تكريم السعيد

وكان اضطلاع وزارة ناجي شوكت التي خلفته الحكم عبر مواقف مزاجية اتت بشعور الملك بما حز في نفس السعيد فانتهز الملك فرصة لقيام وزارة علي جودة الايوبي فبادر الى تكريم السعيد بمنحه وسام الرافدين مقرونا بكتاب شكر وثناء على اعماله الامر الذي طيب نفسه وحال دون قيامه بالنشاط الذي كان يمارسه في الفترات التي يكون فيها خارج الحكم وقد تكرر مثل هذا الامر بعد الاحتلال الثاني البريطاني للعراق واعادة الامير عبد الاله الى وصاية العرش وكان دور نوري السعيد في ذلك من اعظم الادور بالنسبة الى الوصي وحليفته بريطانيا خاصة بعد ان تبنى تعديل الدستور وزاد من صلاحيات الملك وجعل حق الوصي من اقامة الوزارات اذا خرجت من السياسة المرسومة لها وكالعادة خشي عبد الاله ان يؤدي التماع نجم السعيد الى الحد الذي يخبو معه نجمه فدبر ضده معارضة مصطنعة كما اسماها السعيد انتهت باستقالته من الوزارة بعد ان شنّ هجوماً في مجلس النواب والاعيان اعنف هجوم ما اضطر الشيخ بهاء الدين النقشبندي وهو من انصار السعيد الى صفع سلمان الشيخ داود الذي كان من اقطاب المعارضة المصطنعة للسعيد فعجلت هذه الصفعة باستقالة الاخير.ومما اذكره بهذه المناسبة ان صادق البصام كان من جملة اعضاء الوزارة المقالة وقد عقب على ذلك قائلا : اذا كان في المدة السابقة اسقطونا بالقنابل ويقصد به انقلاب بكر صدقي فانهم في هذه المرة سيسقطوننا (بالقنادر) ومن يقف على كتاب استقالة نوري السعيد من الوزارة سيعرف الكثير من الخلفيات التي كان الرأي العام العراقي لايعرف عنها شيئاً. وكان السعيد قبل استقالته قد واجه سيلاً من النقد لنظام الحكم وطالب بسن قانون اساسي جديد بدلا من الدستور النافذ الذي جاءوا به من خارج الحدود كما دعا الى تقوية الحياة البرلمانية بتقليص الدوائر الانتخابية بحيث لاتستطيع الحكومات فرض نوابها وكان هذا مطلبا تقديماً يتمشى مع دعوة الاحزاب الوطنية التي استغربت صدوره من السعيد يومذاك.وجاء حمدي الباجه جي ليخلف السعيد فقال الساسة ان هذه الوزارة هي وزارة صيف تحكم خلال فترة سفر العائلة المالكة للاصطياف ولم يكن حمدي يومها مؤهلا لهذا المنصب فقد اعتزل العمل السياسي الفعال على الرغم من كونه يتمتع بعضوية مجلس الاعيان ولكن الباجه جي الذي كان مغضوباً عليه باعتباره من رجالات الثورة العراقية التي نفتهم بريطانيا الى بنجاب ولن يتولى بعد عودته من المنفى الا وزارة الاوقاف حتى الغيت وكان يهاجم من الجهات الاستعمارية باعتباره يحمل الافكار الاشتراكية التي جاء بها من المانيا يوم كان يدرس هناك اقول ان حمدي الباجه جي بسيادته الهادئة وبحرصه على ارضاء الجميع استطاع ان يبقى في الحكم مدة طويلة ولكن الوصي عاد الى تأليب المعارضة ضده وضد من يعاونه في الحكم فاستعان بسعد صالح الذي تحولت صداقته المتينة مع صالح جبر وزير الداخلية الى عداء شديد بعد ان نقله من متصرفية الحلة الى متصرفية الدليم لانه لم يساعد على اعتقال المعارضين التي ايدت حركة رشيد عالي الكيلاني وقد استقال سعد من المتصرفية للنيابة الشاغرة عن الديوانية ولم يتدخل صالح جبر ضده لكي لايقال ان هذا التدخل لاسباب شخصية .

وزارة خام وطعام

وقام سعد صالح بجولة في الالوية ليحث بعض المتصرفين من اصدقائه على الانضمام الى المعارضة فنجح في اقناع عبد الهادي الضاهر متصرف الحلة الجديد الذي سرعان ما ابدى تذمره من تدخل اصهار صالح جبر بشؤون الادارة لتحقيق مصالحهم الذاتية بعد امتلاكهم الوثائق التي تدل على ذلك كما قصد صديقه عبد الله القصاب متصرف الديوانية ليحمله على الاشتراك معهم الا ان القصاب كما يقول المثل لايطير البعير ولايلزم الامير).

وشرع سعد صالح بمهاجمة حمدي الباجه جي التي قال عنها انها نجحت بتأمين الخام والطعام الى العالم وانها اصدرت قانون العفو العام وكانت تقابل المعارضة بلين الكلام وهي على كل حال وزارة الخام والطعام والعفو العام .. وكان هذا الوصف موضع تندر المعارضة خارج البرلمان الا ان استمرار صالح جبر بالرقابة على الصحف باعتباره وزيراً للداخلية وبسبب الاحكام العرفية حال دون نشر خطاب سعد صالح وتوفيق السويدي وداخل الشعلان الذين كانوا من اقطاب المعارضة لوزارة حمدي الباجه جي لمجلس النواب كما خطب مصطفى العمري المعارض لوزارة الباجه جي ايضا في مجلس الاعيان وتحدث القضايا التي يحسن الاستماع اليها والافادة منها وخاطب الوصي ايضا في هذه الاثناء وخلال هذه المعارضة القى الوصي على العرش خطاباً اثار استغراب جميع الاوساط اذ دعا فيه الى اطلاق الحريات العامة واعادة الاوضاع الدستورية سليمة الامر الذي دعا الكثير من العاملين في الحقل السياسي الى الاستبشار وتاييد هذا الخطاب الذي لم يكن الا مظهراً من مظاهر السباق بين البلاط ونوري السعيد لاظهار شعبيتهما امام الرأي العام وهكذا سقطت وزارة حمدي الباجه جي بسبب الذين إنتدبوا لمعارضته في مجلس النواب والاعيان ليأتي أول مرة توفيق السويدي رئيساً للوزراء وهو العضو في مجلس النواب بعد فترة طويلة وكان اكثر رؤساء الوزراء يرشحون من مجلس الاعيان.

فؤاد عارف يروي حكايته مع الملك فيصل والامير غازي

سعيد الهزار

كانَ الملك فيصل يزور الكلية العسكرية في اوقات مختلفة من دون سابق انذار. وقد زار الكلية في عام ١٩٢٩ وكان الطلبة في القاعة في حالة غير نظامية. كل مشغول بامره، طالب يغني، وآخر يحلق لحيته، وآخر يتحدث مع زميله بصوت عال وفوجئوا بالايعاز (استعد) واذا بالكلية وجها لوجه امام الملك فيصل ومعه الفريق جودت باشا رئيس المرافقين، اضطرب الطلبة وبدأوا يرتدون ملابسهم على عجل فقال «على كيفكم ولدي» وجلس على كرسي صغير وكان الامير غازي انذاك يصبغ حذاءه واخذ فيصل يعينه على ذلك وبعدها فتش دولاب غازي.

كان بعض المدرسين يأتون الى الكلية لإعطاء دروس خاصة للامير غازي مثل فاضل الجمالي واحمد المناصفي وعبد المسيح وزير وكان يتلقى بعض الدروس الاجتماعية تلبية لرغبة والده.

كان غازي يعامل في بعض المواقف بشكل قاس اكثر من الطلبة ومن تلك المواقف ان غازي كان لا يعامل كباقي الطلبة فحسب بل كانت المعاملة قاسية معه. يقول فؤاد عارف: كنا نراجع العيادة الطبية في المستشفى القريب حيث طبيب الخفر وللمريض ان يحصل على اجازة (استراحة مرضية) او يدخل المستشفى وكان غازي مريضا فعلا عندما راجع الطبيب معنا كنا نحن متمارضين وقد اعطاه الطبيب استراحة، ولما عدنا الى الكلية وقد منحنا الاستراحة،

اخذ معاون آمر الكلية الرائد سعيد سلمان ورقة الاستراحة من يد غازي ومن دون ان يتأكد من حالته سحبه من يده وارسله الى التدريب حالاً بينما ذهبنا نحن متمتعين باستراحتنا التمارضية.

ويتذكر عارف قائلا: ان الرائد (رئيس اول) سعيد سلمان كان معاون امر الكلية وكان من خيرة ضباط الجيش العراقي آنذاك وكان جدياً وحريصاً. اما آمر سريتنا فكان الرئيس (النقيب) سيد احمد سيد محمود.

ومن ذكرياته في الكلية العسكرية مع المدرس استاذ احمد المناصفي اذ كان يدرس اللغة العربية وذكر حديثا نبويا : قال محمد (صلى الله عليه واله وسلم): اياكم وخضراء الدمن. فسئل النبي ما خضراء الدمن يا رسول الله؟ فقال المرأة الحسناء في منبت سوء، وشرح معنى الحديث الشريف وذكر ان هذا يمكن ان ينطبق على الرجل ايضا وفي الحصة الاخرى لمادة العربي اراد الطلبة ان يعرقلوا المدرس عن سير الدرس، وشجع الطلاب فؤاد عارف على ذلك اذ قالوا له» «فؤاد اساله اساله!» فسال المدرس قائلا: «هلا حدثتنا، ايها الاستاذ مرة اخرى عن خضراء الدمن؟» فاجاب المناصفي غاضباً «انت لا تعرف العربية وتريد ان تسخر مني» فارسلني الى السجن ويستذكر عارف ايضا عن المناصفي فيقول كلفنا مرة باعداد تقرير في اللغة العربية وكنا نسميه (اطروحة) وقد كلفت احد اصدقائي ممن كانوا يدرسون الشريعة كتابة الاطروحة وفعلاً كتبها لي ووضعت اسمي عليها وقدمتها للمدرس وكانت على مستوى عال فاعطاني الاستاذ صفرا فذهبت اليه ممتعضاً واتذكر اني قلت له: «ان هذا التقرير الذي قدمته لك جيد جدا وليس فيه اخطاء وكنت اتوقع درجة جيدة لانك كنت تعطيني درجات جيدة على تقارير دون المستوى فقال نعم! كنت أعطيك درجات جيدة لانها كانت كتابتك اما هذا فواضح انها ليست كتابتك يا فؤاد لهذا اعطيتك صفراً!

حسين جميل يروي شهادته السياسية

نص فريد عن ثورة مفتي بغداد عام ١٨٣٢

رفعت عبد القادر محمد

لا نستطيع ان ننكر ان كتاب الاستاذ الكبير حسين جميل العراق شهادة سياسية صادرة عن احدى دور النشر العربية في لندن قد اعاد الهيبة والوقار الى الكتابات التي تتناول تاريخ العراق السياسي الحديث لاسباب كثيرة يستطيع قارئ الكتاب ان يشعر بها وفي مقدمتها المعالجة الموضوعية للاحداث ولاسيما التي تتعلق بالجذور الديمقراطية في الحركة الوطنية العراقية .. ولاغرابة في ذلك فقد عرف المؤلف الفاضل في كل ما كتب بصدق الرواية ووضوح العبارة وبعده التام عن الحذلقة عن الكثير من الكتب التي تتناول التاريخ الحديث ولايخفي ان الكتاب من المصادر الرئيسية التي كانت يعتمد عليها طلاب الدراسات الجامعية العليا في اعداد الدراسات التاريخية والعلمية والدستورية فضلا عن هواة البحث والتتبع وعشاق الحقيقة وكتابه الاخير مزيج من التاريخ السياسي والسيرة الذاتية لشخصية عراقية سياسية وقانونية بارزة عاصرت التطور العراقي وساهمت في العديد من احداثه وذلك من مواقع سياسية مختلفة من التلميذة الى عضوية مجلس النواب والوزارة. لقد هيأ لنا استاذنا حسين جميل فرصة طيبة للاشارة الى ثورة مفتي بغداد عبد الغني جميل عام ١٨٣٢ للميلاد فقد تحدث في مستهل كتابه الى بعض ما يتعلق بتاريخ اسرته ومنشأ شهرتها .. واعتمد كما هو شأنه على النصوص المعروفة التي اوردها المرحوم عباس العزاوي في تاريخه الجزء السابع وهي عبارة عن مجموعة ادبية بغدادية كما لا يخفى مكان المرحوم محمود العبطة المحامي في سبيل الكتابة عن ثورة عبد الغني جميل عندما ادركته المنية وحرمتنا من خدماته الادبية وتواضعه العلمي وقد اشار العبطة عليّ بتوفير بعض ما يحتاجه من نصوص فعرفت يوم ذاك ان احد البغداديين كتب تاريخاً صغيرا عن حوادث العراق من سقوط داود باشا حتى سقوط بغداد بيد الانكليز عام ١٩١٧ سماه (ذيل مطالع السعود) منه نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي يضم نصاً مهماً عن ثورة المفتي الجميل. وقد تبين ان الكتاب ضم العديد من المخطوطات لعباس العزاوي التي الت الى مكتبة المتحف العراقي وان العزاوي اعتمده في تاريخه الموسوم تاريخ العراق بين احتلالين فسماه تاريخ الشاوي ومؤلفه محمود بن سلطان بيك الحميري ويذكر مؤلفه ان الميجر ستيفن هامسلي احد الضباط الانكليز المهتمين بتاريخ العراق كلفه بكتابة هذا التاريخ ليكون احد مراجع كتابه المشهور (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) الذي ترجمه الى العربية المرحوم جعفر الخياط.

والمؤلف من بيت بغدادي معروف لعب دوراً كبيراً في تاريخ بغداد في القرون الماضية على الصعيدين السياسي والادبي والمؤلف سليل هذا البيت فاعتمد في كتابة تاريخه على ما تتناقله اسرته من احداث العراق في العهد العثماني فضلا عن النصوص التي توفرت لديه.

شجاع يحمي النزيل

وفي زمن المرحوم علي رضا باشا كان الجنود الذين جلبهم معه من الاستانة قاموا يضربون بأهالي بغداد كالتعرض لنساء بغداد واخذ القماش واللباس غصباً من التجار دون ان يعطوهم حقها .. ويطيلون الايدي على المارين والعابرين في سبل جانب الرصافة من بغداد وكان يومها عبد الغني جميل الساكن في محلة قنبر علي في الجانب المذكور مفتياً في بغداد والحق انه رجل مهاب شجاع ذو دهاء وحمية على اهل وطنه يحمي النزيل ولايعطي الدخيل ويطعم البائس الفقير وكان مراعياً لحقوق الاشراف ذوي البيوت الذين هم من اوطانه واحبابه وخلانه ويغفر زلاتهم ويحافظ على ذممهم .. فشكا اهالي بغداد حال العسكر وما جرى عليهم من انواع التحقيرات والاهانات فأمرهم أن يقتلوا الذين يعتدون عليهم وعلى النساء فصار يعثر على عدد من الجنود مقتولين ومطروحين في سبل بغداد. ومرت ايام على هذه الحالة ولايعرفون القاتل وعدد الجنود ينقص حتى وشوا الى الوزير علي رضا باشا وهو من اهالي بغداد بان القتلى من الجنود هم بأمر من المرحوم عبد الغني افندي آل جميل وبقوته وبفتكه والا فإن الاهالي لايجرؤون على قتل الجنود المذكورين، عند ذلك امر الوالي بالقبض عليه ونهب امواله ونهب داره وعندما تحقق الخبر ثار اهالي قنبر علي ومحلة ابو شبل وغيرها من المحلات القريبة من بيته من جانب الرصافة وتقابلوا مع الجنود وقد ادى ذلك انهزام الاهالي وصار الظفر لجنود المرحوم الوالي بوساطة بعض الخائنين فانظروا لنفاق هؤلاء الخونة فبدلاً من مساعدة اهل وطنهم من الذلة المسكنة وصون عرض نراهم يسعون بالنفاق الى الوزراء ليذلوا وطنهم لاجل ان ينالوا المنصب .. وفي تلك الاثناء اغتنم المرحوم عبد الغني افندي آل جميل الفرصةوعبر الى جانب الكرخ واخذ العزيز والخفيف من ماله ونزل في دار سليمان الغنام ومن فرقة عكيل وأجاره المرحوم سليمان وبقي عنده معززاً مكرماً عدة ايام وبعد ذلك حذر وخاف ان تقع الواقعة بين علي باشا واهالي جانب الكرخ ويكون هو سببها وما احب ذلك .. وكان في ذلك الوقت وقبله اذا احد قتل نفساً وعبر الجسر ودخل بيت الشاوي او في بيت احد رؤساء عكيل فإنهم يحمونه ويجيرونه ويقاتلون من أجله.. مثل مشهور عند اهالي بغداد اعبر التختة تسلم).. ويقصد بالتختة الجسر الوحيد الذي كان يربط جانبي بغداد وخرج المرحوم عبد الغني افندي آل جميل من دار سليمان الغنام وذهب الى قبيلة المنتدى

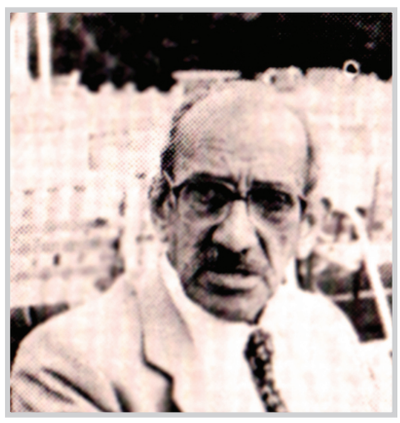

وبقي هناك سنة وبعد ذلك فارق القبيلة وتوجه الى دمشق وبقي فيها سنتين ثم عاد الى قصبة عانة وبقي فيها سنة واحدة.

وساطة للصلح

وبعد ان كتب اليه رئيس عشيرة شمر الجربا صفوك كان من اصحاب الوالي .. الى متى هذا الجلاء والفراق عن الوطن فأنا اليوم جار لك وباذل المال والرجال امامك اذا شئت ان نجتمع ونسوق الجيوش معك لتحارب بها علي رضا باشا واني جدير اذا صرحت ولفت عنان جوادي لبغداد ان اسقطها واجعلك ولياً مكانه ان احببت وقبلت ذلك .. اجابه عبد الغني افندي: اني لااكلفك بذلك ولكني اكلفك أن تكون الوساطة للصلح بيني وبين علي باشا و ارجع الى وطني فلا حرب فعند ذلك كتب المرحوم صفوك عريضة استعطف الوزير علي رضا باشا عليه وكتب ايضا عبد الغني افندي استرحاماً يعتذر فيه اليه عما مضى ويريد الرجوع الى الوطن .. وكان الباشا كريماً يحب العفو وكتب الى صفوفك والى عبد الغني جوابا .. بأني قد عفوت واعطيت الامان لك وارجع غانما .. فاوجس عبد الغني افندي في نفسه خيفة كتب مشترطا لكي يطمئن قلبي احب ان تجعل العهد بيننا القرآن وكلام الله وترسله الي امانة مع امر من عندك على انني امين على نفسي وعيالي من كل سوء وارسل اليه القران أماناً مع كتاب يخبره انك امين لا يمسك من عندنا سوء فعندما اخذ القرآن الكريم أي الامان بيده ركب من قصبة عانة وسار نحو بغداد ودخلها وتوجه الى محل الحكومة الذي فيه الوزير فحياه تحية فرد عليه بتحية احسن منها وقال له: اهلاً وسهلاً وعمّر بيته كما كان وانعم عليه بما ذهب واحترق من الاموال والاثاث وغيره وعيّنه صاحب المجلس الكبير في ذلك الوقت أي عضو مجلس ادارة الولاية هذا ما كان من امر الوالي وعبد الغني جميل واما كلام صفوك لعبد الغني أي اسوق معك الجيوش واسقط لك بغداد واجعلك وزيراً بمكانك لو قبل ذلك المرحوم عبد الغني لما فعل صفوك الا انه من دهائه شكره على ذلك وقال : كن لي وساطة للصلح.